بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعد الفكر الغالي والمتطرف اليوم من أهم أدوات الصراع في زمننا وأكثرها خطورة بما يشتمل عليه من ألفاظ ومصطلحات علمية منحرفة، وبخاصة أن أعداء الدين وأصحاب الأجندات المعادية له يولون أهمية كبرى لكل مقالة ورأي يجنحان نحو التطرف والغلو، ويستثمرانه، ويسلطون دراساتهم واستخباراتهم عليه، ويذللون العقبات التي تحول دون ذيوعه وانتشاره؛ كي يستثمروه أخيرا من أجل تعمية الحق على المتلقي، وجعله فريسة سهلة للمقالات المنحرفة المتطرفة والغالية وصولا إلى عملية توظيفه وتجنيده – من غير أن يشعر في الغالب – في تمرير مخططاتهم الشيطانية الخبيثة، وما نراه اليوم من انتشار ظاهرتي الغلو والتطرف، وجعل البلدان حبيسة فكرة الاصطراع المذهبي والإثني المقيتين، وتسلط الغرب على مقدرات أبنائه وتفريغ تلك البلدان من مقومات النهوض العلمي والبشري وتهديم البنى التحتية لرفاهية تلك البلدان واضعافها لهو خير دليل على ذلك.

من هنا فإن البناء المعرفي يمثل حجر الزاوية والركيزة الأساس من ركائز السلم المجتمعي، وقد تمحور البناء المعرفي في أمرين رئيسين: في العقل الوازع، والعلم النافع .. وفي مجال العقل يجب أن تتوجه عمليات الاسترداد للعقول ببناء العقل الوازع وتثبيت دعائمه وتقوية مناعته، وهذا ما يجب أن يوليه الباحثون أهمية كبرى، وهو بناء عقل وازع للفرد في المجتمع؛ إذ المشكلة اليوم ليس في العقول المدركة والمفكرة؛ لأن كثيرا من هذه العقول هي من أسست للتطرف ولا حاجة لنا بها ولا يجب أن يحرص الباحثون على تنميتها بقدر حرصهم على بناء العقل الوازع الذي يزع الانسان عن فعل الشر ويقبحه في ذهنه، ويدفعه دفعا نحو عمل الخير ويحسنه فيه؛ فليس العقل المدرك أو المفكر كفيلين بتحقيق الأمن الاجتماعي وانما ذلك من وظيفة العقل الوازع؛ فقد يكون العقل مدركا ومفكرا بيد أنه لا يولي اهتماما لعملية الاسهام في تفكيك بنية العنف لذا فهو ليس دافعا للبشر نحو بناء منظومة الامن المجتمعي، وأما الأمر الآخر الذي تكفل البناء المعرفي بترسيخه والاهتمام به فهو العلم، ولم تعرف البشرية ديناً مثل الإسلام عني بالعلم عناية بالغة؛ إذ دفع العقول إلى مجال العلوم والمعرفة، ودعاهم إلى

العدد ٥٦

٢٣ ربيع الثاني ١٤٤٠هـ
٣٠ كانون أول ٢٠١٨م

تفتح آفاق الفكر، ودعاهم إلى العلم والتأمل والتفكر في الكون للوقوف على أسراره

واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصنا المطلب الأول لإعطاء فكرة عن مفهوم تبني الإيمان المستند إلى العقل ، وجعلنا المطلب الثاني مخصصا لأهمية تحرير الدين من الكراهية ، وأما المطلب الثالث فتناولنا دور إنقاذ النزعة الانسانية في الدين ، وأما الخاتمة فقد أوجزنا فيها أهم نتائج البحث وما توصلنا إليه في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرا فهذا جهد المقل فان وفقنا فهو محض فضل من الله وان كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم براء منه.

الباحثان

المطلب الأول: تبني الإيمان المستند إلى العقل

يقول الدكتور الرفاعي: ينبغي أنّ نميزَ بين، الدين والتدين، الإيمان والتدين، الدين والحياة الروحية، تمثلات الدين الفردية والاجتماعية وجوهر الدين ويقصد الرفاعي بالدين هنا: البعدَ الأنطلوجي، الذي يتمثل في الإيمان، الحياة الروحية، الحياة الأخلاقية جوهر الدين.

وكما أن للدين تمثلاتِه الأفقيةَ الاجتماعية الواسعة، فهو أيضاً يتوغل ويمتد عمودياً، كأنه طبقاتٌ جيولوجية تغور في مديات قصيّة. واكتشافُ تلك الطبقات العمودية يتطلب حفرياتٍ أركولوجيةً، يقوم بها آثاري ماهر محترف.

اذ يذهب الرفاعي إلى أنَّ الدين يطغى لأول وهلةٍ في الاجتماع البشري كأنَّه مِسْخٌ، ينفي العقلَ، يثير الرعبَ، يهدر الكرامةَ، يستلب الروحَ، يقتل الضميرَ، يخرّب التمدنَ، يحطّم الحضاراتِ، يصادر الحرياتِ، يهدر الحقوقَ، يمزّق المجتمعاتِ ...إلخ.

ويضيف إلى ذلك أنَّ مما يشوّه صورة الدين في مجتمعاتنا هو اختلاط الدين بكل شيء أذ يختلط الدين بالعلم والعلم بالدين، ويختلط الدين بالفلسفة والفلسفة بالدين، يختلط الدين بالأدب والأدب بالدين، يختلط الدين بالشعر والشعر بالدين، يختلط الدين بالفن والفن بالدين، يختلط الدين بالقبيلة والقبيلة بالدين، يختلط الدين بالعادات والأعراف والتقاليد وهي تختلط بالدين وهكذا. إنّ كانت هذه حالة الدين في أي مجتمع،

فلن يعود الدين ديناً، ولا العلم علماً ولا الفلسفة فلسفةً، ولا الأدب أدباً، ولا الشعر شعراً ولا الفن فناً .. إلخ[١].

أذاً ما السبيل إلى إرجاع الدين إلى صورته الحقيقية وتحويله من ظلام إلى نور، من موت إلى حياة؟

إنَّ ذلك لا يتم كما يذهب الرفاعي إلّا بالخلاص من "تديين الدنيوي"، وإعادة الدين إلى حقله الطبيعي. ومن دون ذلك ننهك ما هو ديني، و نبدّد ما هو دنيوي. أي أنَّ تمام الدين وكماله ليس بمعنى إستيعابه وشموله لكل شيء في الدنيا، وإنما هو بمعنى إنَّ الدين لا يعوزه ولا ينقصه شيء فيما يرتبط بأهدافه وغاياته في الهداية وبناء الذات البشرية، ورفدها بما تفتقر إليه الخبرة البشرية، في فضاء عالمها الحسي المادي. أما ما يؤمنه العقل، وما تنجزه الخبرة البشرية، فلا ضرورة لإقحامه في الدين، أو إقحام الدين فيه، إنَّ وعي جوهر الدين، وإدراك بعده الأنطولوجي، من شأنه أنّ يضعَ الدين في حقله الذي يتكفل بناء الحياة الروحية الأخلاقية للذات البشرية.

ربما يحسب البعض إنَّ الإيمانَ بوصفه حالةً للقلب، فلا ضرورة للتوكؤ على العقل في تفسيره وبيانه وتحليله، وفهم بواعثه وأنماطه، وصيرورته، وتجلياته، كما لعله يُظَن ألّا ضرورةَ للعقل في تفسير وتوصيف الدين وتموضعه في بنية المجتمعات.

وهذا بلا شك مرفوض حيث يؤكد الرفاعي على إنَّ كلَّ ما نحكيه يصدرُ عن العقل، والعقلُ وحدُه بوسعه أنّ يمنحنا فهماً صحيحاً لما يتصل بالعقل والروح والقلب والجسد، لحظةَ يتعطلُ العقلُ يتعذرُ بلوغُ أيةِ معرفةٍ بالعالم والإنسان والحياة[٢].

ويذهب عبد الهادي بوطالب: إلى نفس المفهوم الذي يذهب إليه الرفاعي إلى إنَّ الدين الإسلامي ركز على ضرورة ربط الإيمان بالعقل وحث في القرآن على استعمال العقل للوصول إلى درجة اليقين بوجود الله، رفض إيمان المقلدين الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُون﴾[٣]، أي إنَّ المؤمن لا يعتنق الدين لأنه موروث من أسلافه، فالدين الإسلامي رسم حدوداً عقلانية أصبح بها قريباً من العلمانية التي نشأت على عهد التنوير والعقلانية لكنه جاء متفوقاً عليها، من أجل ذلك أقول ان هناك بعض الافكار العلمانية لا تتعارض مع الدين[٤].

يشير الرفاعي إلى مسألة مهمة ألا وهي: قد لا يتطابق مفهوم العقل وحدوده لدى

الجميع، فهو في مفهوم العرفاء يتمايز عنه في مفهوم الفلاسفة، وهكذا يتمايز المتكلمون عنها في حدود العقل، إلا أنَّهم يشتركون في مسلّمات البديهيات والمقولات والحجج المعروفة في المنطق الارسطي(٥)

وإلى جانب مسألة العقل والإيمان هناك مسألة العلم والإيمان فهناك من ينظر للعلم على إنَّه شيء خارج عن الإيمان بل هو شيء منكر يدّنس الإيمان لكن الدين الإسلامي أكد على خلاف ذلك والحقائق التاريخية تؤكد ذلك فعندما أنحط العلم أنحط معه الإيمان، وبذلك فالعلم والإيمان متكاملان يكمل أحدهما الآخر فالعلم يجعل الكون منسجماً مع الإنسان والإيمان يجعل الإنسان منسجماً مع نفسه ..الخ(٦).

ويصل الرفاعي بعد كل ذلك إلى قضية مهمة ألا وهي أنَّ الإيمان هو الذي يروي الظمأ الأنطلوجي للمقدس: (لحظة يمتلك الإيمان القلب، يصير هو الأمن وهو السكينة. الأمن هو الإيمان. الإيمان هو الأمن. تجربتي الروحية أنَّ الإيمان هو الأمان. بل يمكنني القول في سياق تجربتي الشخصية، إنّي لم أعثر على أمان في حياتي خارج فضاء الإيمان، إيماني مثلما أتذوقه هو إيمان أنطولوجي متوحد بكينونتي. العلاقة بالله فيه أفقية لا عمودية. إنَّها علاقة جوهرها الحب والحرية، لا تتضمن: أسترقاقاً وقهراً وأنتهاكاً لكرامتي وأضطهاداً)(٧).

ولا يكون الخلاص من الخوف الذي يسكن المجتمعات المستبدة بحسب الدكتور عبد الجبار الرفاعي إلّا بتنمية الحياة الروحية والأخلاقية والعقلية، وذلك لا يتحقق إلّا بالانتقال، من "دين الأيديولوجيا" إلى "دين الأنطولوجيا"، ومن لاهوت الاسترقاق إلى لاهوت الانعتاق، ومن لاهوت الكراهية إلى لاهوت المحبة، ومن لاهوت الحرب إلى لاهوت السلام، ومن لاهوت الموت إلى لاهوت الحياة، ومن لاهوت التحرير إلى لاهوت الحرية ومن لاهوت الثورة إلى لاهوت الحياة الروحية الأخلاقية، ...الخ(٨).

المطلب الثاني: تحرير الدين من الكراهية

نحاول من خلال هذا المطلب أنّ نبين هل إنَّ الكراهية تشتق من الدين أم هي خارجة عنه وأضافتها التفسيرات البشرية للدين؟

حيث يذهب الرفاعي إلى أنَّ هناك خلطاً واضحاً يتداوله الإسلاميون في أدبياتهم حيث يخلطون بين الإسلام بمعنى نص الكتاب، والإسلام بمعنى التراث المدون للمسلمين عبر التاريخ، والإسلام بمعنى التجربة التاريخية للاجتماع الإسلامي، وما أكتنفها من صراعات وهزات وانتصارات، وإنَّ كل ما كتبه المسلمون من مؤلفات وغيرها تلتبس بطبيعة الظروف والأحوال والظواهر السياسية والاقتصادية والثقافية، فاستبداد وطغيان الخلفاء والسلاطين منذ العصر الأموي إلى العصر العباسي رسخت صورة للإله طمست رحمته ورأفته وعفوه الذي يتجلى في النص القرآني مشرقاً وواضحاً ودعوا إلى تلك الآراء التي تفضي إلى اكتشاف الأبعاد الإنسانية في الدين والإعلان عن احتقار الآخر وعدم احترامه، وهذه الآراء لا صلة لها بالدين لأنَّ (الدين هو الحب والحب هو الدين) حسب تعبير الأمام محمد بن علي الباقر. وعلى هذا يجب أنّ نميز بين الدين الإسلامي الصحيح والدين الذي نشأ في القصور، إسلام الموت والكراهية، الإسلام الذي يختزل الدين في طاحونة القتل، للقتل الشنيع الذي يمجد الموت ويحث على الكراهية، إسلام خالٍ من روح الإسلام كما نجد في الجماعات السلفية[٩].

وهنالك نقطة مهمة ألا وهي ثقافة التعايش والحوار مع الآخر، يذهب الدكتور طه عبد الرحمن إلى إنَّ: (الحوار لا يوجد إلّا حين يوجد الاختلاف بين طرفي البحث فالراجح أنَّ طريق الوصول إلى الحقيقة ليس واحداً بل متعدد وذلك راجع إلى إنَّ الحق متجدد وبذلك تكون طرق الوصل إليه متعددة، إنَّ تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة يفضي بمرور الزمن إلى تقليص شقة الخلاف بينهم، إنَّ الحوار يسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بينما لا يؤخره ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه)[١٠].

اولاً: من أين تشتق الكراهية:

يبين الرفاعي مدى الترابط بين الإنسان في مجتمعاتنا وبين التراث حيث يقول: (ربما لا توجد مجتمعات بشرية مسكونة بهاجس التراث كالمجتمعات الإسلامية، فهي تعيش حنيناً للماضي لا حدود له، وتخلع عليه ما يحلو لها من المعاني والصور المثالية،

بنحو أمسى التراث قيداً يكبّل حاضرها ويلغي مستقبلها، وأفضى حنينها وتمجيدها لتراثها مصدراً لطائفة من الالتباسات والخلط في الرؤية، بشكل يتعذر فيها التمييز بين الدين بوصفه تسامياً للروح وتجسيداً للقيم النبيلة، والتراث بوصفه إنتاجاً بشرياً، حيث أصبح التاريخ الذي يختزل أفكار ورؤى ومواقف السلف، ممن توقف التاريخ عندهم حتى أصبحت أية محاولة لمساءلة التاريخ، ونزع القناع عن التراث تنعت بالعدوان على أمجاد الأمة، ويجري التشهير بكل باحث يحاول الكشف عن المهمَّش أو المسكوت عنه أو حذف أو إقصاء بعض الحوادث من التراث، فنحن نعيش تحت سطوة التراث، خاصة من جهة ما يسود مجتمعاتنا من نزاعات وتعصب وكراهية ونفي للآخر، وسنبقى نعيش في هذا السجن، ما لم ندرك أنَّ التراث يتمثل بمجموعة معانٍ وشروط)[١١].

ولأجل ذلك (يجب دراسة التراث ومعرفة أبعاده سواء كانت أبعاداً سياسية أو معرفية أو تاريخية أو سيكولوجية أو أنثروبولوجية، عملت على تشكيل تلك الخطابات وبهذا فإنَّ الرفاعي يرفض أنّ نأخذ التراث بما هو ونعدّه مقدساً كما فعلت أغلب الجماعات الإسلامية التي جعلت من ممارسات وأراء السلف هي الأساس الذي نسير عليه رغم التطورات التي أخذت الحياة المعاصرة تمر بها من تطورات تكنولوجية أو غيرها، ويرفض الرفاعي أنّ يكون الدين كما يفسرونه بأنَّه يخضع للتراث، والركون إلى فهم السلف، بل الإيمان والإنتماء للإسلام يعني بناء علاقة حيوية فعّالة مع الله في العصر الذي يعيش فيه الإنسان وتستقي هذه العلاقة مادتها من فهم الشخص للوحي، وتجربته الدينية الخاصة، ولا يستقيها من التراث.

والتراث بحسب رأي الرفاعي مجموعة الممارسات الدينية والعقائد والمفاهيم السائدة في حقبة معينة من حياة المسلمين، هو مفهوم ثقافي أنثروبولوجي، والمجال مفتوح أمام المتألهين المسلمين في كل زمان لنقد ذلك التراث وتفكيكه، ولكي تبقى جذوة الإيمان متّقدة في الأرواح ينبغي أنّ يتجاوز الإيمان ما تراكم من شروح وتأويلات عبر التاريخ، ويكون إيماناً نقدياً)[١٢].

ويتحدث الرفاعي عن إيمان بديل للإيمان المشبع بالتراث ويطلق عليه "الإيمان النقدي" حيث يبين معنى ذلك بقوله: (هو الإيمان الذي يتيح لصاحبه مواكبة إيقاع الحياة، والإصغاء إلى الواقع، وما يضج به العالم من استفهامات لا حدود لها[١٣] ، الإيمان

النقدي كفيل بتجاوز احتكار مفهوم النجاة والمشروعية الحصري، فليس هناك أحد يمتلك الإيمان الحق، ويمنح نفسه النجاة، فيما يهلك الآخرون الذين لا يتطابق نمط اعتقادهم مع معتقده، ومقتضى ذلك التخلص من أساليب التعبئة الإيديولوجية، وترك استخدام كلمات ومصطلحات دينية مشبعة بهجاء الآخر)[١٤].

ولأجل أنّ يكون الإيمان النقدي كفيلاً بتجاوز مثل هذه التعصبات مع الآخر فإنَّه بحاجة إلى لغة تعبر عن هذا الإيمان لا تكون مشبعة بصياغات إيديولوجية تعبوية تعصبية بل يجب استخدام لغة متسامحة تدعو إلى التوحيد وتنفي التعصب ولا تنفي الآخر بل تتعامل معه على أساس من الإنسانية والمساواة والإخاء فيتناول الرفاعي اللغة بوصفها أداة في التعبير عن هذا الإيمان المتسامح الذي ينبذ الكراهية ويمجد الوحدة والمحبة ويبين الرفاعي النتائج التي تؤول علينا من استخدام الكلمات التي تحمل في داخلها بذور الكراهية والتعصب: (لقد صارت الكلمات أو العبارات في أحاديثنا وكتاباتنا بمثابة أدوات قتال نتراشق بها، تعمل على بث التشنج، وإشاعة التوتر، وأمسى الإصغاء للآخر وتفهم ما يرمي إليه مستحيلاً، أثر عنف اللغة، حتى صار المجال التداولي للغة المستعملة في حياتنا أحد أبرز منابع الكراهية، وتزوير صورة الآخر، إنَّ تطهير اللغة من الكلمات والمصطلحات المشبعة بالتشهير بالآخر ضرورة يفرضها الواقع، ويجب أنّ تتسع عملية تطهير اللغة من التعسف ليشمل المقررات الدراسية في سائر مراحل التعليم، أما القراءة السلفية المبسطة للنص فدائما ما تحيلنا إلى حالة من الانحطاط والتراجع الحضاري، بينما يزدهر التأويل الصوفي والفلسفي للنص في حالة النهوض الحضاري، حيث نجد أنَّ القراءة التبسيطية للنص تسود اليوم أدبيات الجماعات الإسلامية ويتشكل في ضوئها وعي جماعات كبيرة من المنخرطين فيها، حيث تصرّ هذه القراءة على القطيعة مع الميراث الإنساني في تاريخنا وتحارب التفكير الفلسفي وتعدّ تراث الحكماء غريباً عن المحيط الإسلامي)[١٥].

ويسلط الدكتور مصطفى ملكيان الضوء على مسألة مهمة تعزز أسس التسامح بقوله: (سأكتفي بجملة واحدة: إنَّ الدين والتدين المجردين من الحب، والجمال، والخير، والحرية، والعقلانية، ونشدان الحقيقة، ليسا مطلوبين من قبل الله، ولا مرغوب لدى عباده، والذي يصرّ على تقديم دين للناس مجرد عن هذه العناصر والمقومات، فلا

يسهم إلّا في عزلة الدين عن البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه)[١٦].

ويؤكد الرفاعي بأنَّ الحاجة أضحت ملحة لدراسة منابع اللاتسامح والكراهية لأجل تجنبها والحد منها: (باتت الحاجة ملحة إلى دراسة وتحليل منابع اللاتسامح، وبواعث العنف والكراهية في مجتمعاتنا، والاعتراف بأنَّ الكثير منها يكمن في الفهم الخطأ للدين، حيث يطغى في خطاب بعض الجماعات تبجيل العنف، والإعلاء من قيمته، وتشدد على أنَّه السبيل الوحيد للخلاص من الظلم والاضطهاد في الدنيا، بينما تتجاهل الأساليب اللاعنفية في دعوات الأنبياء)[١٧].

يؤكد الرفاعي أنَّه لا سبيل لتحديث التفكير الديني وتجاوز الإلهيات التقليدية، إلّا بتوظيف المعطيات الراهنة للعلوم والمعارف البشرية في دراسة التراث الديني، والتوغل في مداراته وغربلة مكوناته وتفكيك عناصره، أما غياب الموقف النقدي من التراث وشيوع الوفاء التاريخي وطغيان الحالة التبجيلية لكل ما يمت إلى الماضي وعدم القدرة على إدراك الإكراهات في الموروث كله يؤدي إلى تراجع المجتمعات. ونجد في مجتمعاتنا في السنوات الأخيرة أصوات تدعو إلى تعزيز الهوية والقومية والأصالة وجميع هذه الأصوات تتفق على جعل الآخر مصدراً لكل المشاكل وأوهام الهوية تحجب رؤية الأخر وتكرس الانغلاق على الذات وتفضي إلى افتعال صورة زائفة للذات والأخر، وتغلب على مجتمعاتنا نزعات التعصب والتشهير الدائم بالآخر، وكأننا في عالم لا يعيش فيه معنا سوى الأعداء، حيث تغذي دائماً روح الانتقام والكراهية للآخر، فعلى الرغم من أنَّ الاستعمار شمل معظم الكرة الأرضية في القرون الماضية إلا إننا نجد أنَّ بلداناً كثيرة قد تحررت منه ولحقت بالغرب بل وتقدمت عليه صناعياً وثقافياً أما نحن ما زلنا نعلق عاهاتنا ومشكلاتنا وتخلفنا على هذا الاستعمار ونجعله شماعة لأخطائنا[١٨].

ثانياً: مبدأ لا إكراه في الدين:

يتناول الرفاعي قضية مهمة ألا وهي "مبدأ لا إكراه في الدين" فمما لا ريب فيه أن حق الحياة من الحقوق المصونة والمحترمة لكافة البشر، بقطع النظر عن أجناسهم وثقافاتهم ومعتقداتهم، وإنَّ عدم الإيمان أو الكفر وحده لا يصلح أنّ يكون موضوعاً للحكم بالاعتداء على شخص أو قتله، وإنَّ الأصل هو براءة الكل من العقوبة الدنيوية وإثبات أية عقوبة بحاجة إلى دليل، ذلك إنَّ المعتقد أمر جواني باطني، وليس أمراً

خارجياً وأنَّ تحقيقه وحصوله ليس باختيار الإنسان بمعنى إنَّ العالم الداخلي لا يمكن فرضه، بوصفه عالم الحرية(١٩).

حيث يذهب الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ﴾(٢٠)، إلى (إنَّ الإسلام قد أتضح وتجلى بفضل القرآن والسنة النبوية المطهرة ولا حاجة إلى الإكراه والإجبار في قبول الإسلام، يؤيد ذلك الجزء الثاني من الآية "قد تبين الرشد من الغي" فهي سبب فيما ورد من الشطر الأول من الآية "لا إكراه في الدين" حقيقة تشريعية تستند إلى حقيقة تكوينية، إذ إنَّ الإكراه والإجبار في الدين، لا يمكن أنّ يكون إلّا من الأعمال والحركات الظاهرية ولا يستطيع أنّ يؤثر في العقل والاعتقاد، فالآية تنهى عن استعمال القوة في هداية الأفراد إلى نهج الدين القويم فذلك غير ممكن تشريعياً وطبيعياً، وتشير أيضاً إلى ترك التقليد الأعمى للناس وإنَّ علينا أتباع منطق العقل، فالفرد المكره المجبر على أتباع عقيدة معينة تقليداً من دون أنّ ينطلق في إيمانه بذلك وهذا مرفوض بنظر القرآن)(٢١).

يذهب الرفاعي إلى القول: (إنَّ المعتقد ما لم ينبثق الإيمان به من قناعة وجدانية وإرادة قلبية لا يمكن أن يلامس الفؤاد، وكل الانظمة الشمولية، التي تفرض نسقاً إيديولوجياً مغلقاً على مواطنيها، إنما تعمل على تفشي ظاهرة النفاق، وهي تحسب أنها دمجت كافة المواطنين في النسق الاعتقادي الذي اختارته لهم، ذلك أنَّ المعتقد ليس بمثابة الثوب الذي يلبس ويخلع بسهولة، وفي مثل هذه البلاد تشيع عادة عقيدة ظاهرة، وهي ما تريده السلطة، بينما يخفي الأفراد معتقداتهم)(٢٢).

(القرآن الكريم يتحدث عن الحرية وينفي القسرية أو الإجبار وعن اختياره في الحياة كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾(٢٣)، تقرر الآية بصراحة أنَّ الإيمان والكفر باختيار الإنسان وإرادته، كذلك الآية القرآنية ﴿إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾(٢٤)، فهي تؤكد على إنَّ وظيفة الرسول﴾عليه الصلاة والسلام﴿ تقتصر على التذكير بالبينات والهدى وإبلاغ الحق والشهادة وبموازاة ذلك ينبه الله إلى إنَّه ليس له سلطان في إكراه الناس على الإيمان فهو ليس بمسيطر ولا جبار إنما هو مذكر، فإذا كان الرسول﴾عليه الصلاة والسلام﴿ هو صاحب الرسالة، لم يفوض في إجبار الناس وإكراههم فكيف يفوض غيره بذلك)(٢٥).

إنَّ الزمن يفرض التسامح فرضاً عقلياً ووجدانياً، وإنَّ العصر السريع التحولات، المفعم بالتكنولوجيا المتطورة يستدعي مسألة التسامح ويفرضها ولا يترك قيد أنملة للاستغناء عنها، وأيضاً نجد رأي مشابه لما يذهب له الرفاعي عند د. كمال عمران الذي يذهب إلى أنَّ (القرآن نفى الإكراه في سورة البقرة لا إكراه في الدين، وهو الفرض والتعسف، بل إنَّ من أبرز مظاهر التكريم التي يمر بها الإنسان، هو تكريم المسؤولية الإنسانية والإرادة البشرية ويرشد الخطاب الإنساني إلى الطريق القويم فيبين مدى رشد الإنسان ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمنُ(١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(٢) خَلَقَ الْإِنْسانَ(٣) عَلَّمَهُ الْبَيانَ﴾[٢٦] ، حيث يبين الطرق الرشيدة والمسالك المؤدية إليه، ويفصح عن الغي والسبل المفضية إليه ويبقى الاختيار للإنسان صرفاً، ولا إكراه)[٢٧].

ويذهب الدكتور مصطفى ملكيان إلى رأي مشابه لرأي الرفاعي بقوله: (كلا ليس العنف وسيلة ناجحة لنصرة الفضيلة، ولا للتدين، ولا المعنوية، هذا هو جوهر "لا إكراه في الدين". لا يكون أبن آدم إنساناً فاضلاً بمعنى الكلمة الّا أذا كانت حركته على ضوء حرية الاختيار)[٢٨].

وهكذا فالإكراه بالدين أي إجبار الإنسان على اعتناق ديانة ما أو معتقد ما لا يعني أنَّ الإنسان مؤمن بهذا الدين أو المعتقد فهو ربما يكون مؤمناً ظاهرياً للناس لكنه بالباطن يكن اعتناقه لمعتقد آخر، وكذلك فالدين الإسلامي لا يرتضي للإنسان أنّ يكون مجبراً على اعتناقه للدين بل يجب أنّ يكون اعتناقه عن قناعة ورضا.

المطلب الثالث: إنقاذ النزعة الانسانية في الدين

يقصد الدكتور الرفاعي في إنقاذ النزعة الانسانية في الدين هو تحرير الدين من التعصبات السلفية، فيحيله إلى منبع للعداون والتعصب والكراهية، ولأجل القضاء على مثل هذه الخطابات يجب أنّ نسعى بحثاً للكشف عن النزعة العميقة في الدين، وإضاءة الحقول المنسية في النصوص الدينية التي تجعل من الإنسان الكائن المميز الذي كرمه الله على بقية خلقه حيث جعله خليفة في الأرض. حيث يبين الرفاعي ذلك بقوله: (دعوتي إلى إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين تعني فهم أخر للدين، وتأويل مختلف للنصوص الدينية عبر قراءة شاملة لهذه النصوص، تستلهم نظامها الرمزي، وما تختزنه من معاني ومداليل، لا تبوح بها إلّا من خلال عبور المنظومة المغلقة للفهم التقليدي لها، وتوظيف منهجيات ومفاهيم ومعطيات المعرفة البشرية والعلوم الإنسانية الراهنة، يسعى هذا التفسير إلى اكتشاف وظيفة الدين الأصلية في إنتاج معنى لحياة الإنسان وهي وظيفة عجزت معظم الجماعات الإسلامية اليوم عن إدراكها. ويكشف الرفاعي عما يعنيه بالنزعة الإنسانية في الدين: الخلاص والتحرر من نسيان الإنسان في أدبيات الجماعات الإسلامية، والاعتراف لبشريته ومكانته في الأرض، وتصحيح نمط علاقته بربه، وتحويلها من صراع مسكون بالخوف والرعب والقلق إلى علاقة تتكلم لغة المحبة، وتبتهج بالورود مع معشوق جميل)[٢٩].

وهناك أمور كثيرة يذكرها الدكتور الرفاعي لإنقاذ النزعة الانسانية في الدين، من أهمها:

أولاً: الإنسان غاية الدين ومحوره:

إنَّ الغاية التي جعلت الرفاعي يطوف في مثل هذه المنطقة من الفهم الديني هي "النزعة الإنسانية في الدين" وذلك راجع إلى تجربة الرفاعي الشخصية حيث كانت توجهات الرفاعي الأولى توجهات دينية أيديولوجية، كغيره ممن تبنوا الدين كأيديولوجية للثورة والتغيير، وقد مر كثير من الشباب بهذه التجربة بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية التي مرت بها البلاد لأجل تغيير الواقع إلى واقع أفضل، ولكن الرفاعي لم يبق على هذ الاتجاه طويلاً فسرعان ما توجه وجهة مغايرة لأدلجة الدين وأخذ يتحرر من الإيديولوجيا ليدخل معتركاً آخر، ويتخذ جانباً آخر من الدين أكثر تحرراً وإثارة ألا وهو الجانب الإنساني في الدين، وأخذ يبحث في تراثنا الديني عن تجارب

إنسانية مثمرة تنحو بالدين منحى إنسانياً، وتمنحه في فهمها له بعده الكوني، متخذة من منظومة قيمه وشيجة للتواصل مع قيم إنسانية شبيهة في الجوهر، رغم أنَّها قد لا تكون ذات منشأ ديني. إنَّ الدين في الأصل دين للقلب الإنساني الواحد(٣٠).

وقد بين ذلك في كتابه مقدمة في السؤال اللاهوتي، حيث أشار في مقدمته إلى أنَّ الإنسان هو غاية الدين وليس الدين في حقيقته قيداً للإنسان: (كل ما تحتوي عليه هذه الصفحات هو مقدمات وتمهيدات تسعى لإجتراح أسئلة، والخلاص من أية سلطة معرفية تعمل على كبح العقل ومحاصرته، بغية الكف عن أثارة الاستفهامات وتعطيل التفكير تحت أية ذريعة، قد خلق الله الناس احراراً ومنحهم قابلية للتفكير ولم يحضر عليهم أي سؤال)(٣١).

ونجد أنَّ كتابه "إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين" كان موجهاً لأجل بيان موقع الإنسان في الدين وكيف أنَّ خطابات الإسلاميين قد حرفت الدين عن غايته أو هدفه أو جوهره الأساس وهو الإنسان فأصبحت غاية الدين عند هؤلاء هي تجذير الكراهية وتعميق العنف في داخل الفرد ونبذ الحوار والتعايش مع الآخر: (إنَّ الدين ظل أحد أهم منابع إلهام قيم المحبة والتراحم والتعاطف والشفقة واحترام كرامة الكائن البشري لكنه شدّد على ما تنوء به مجتمعاتنا من تعصبات وكراهيات ونزاعات، وما يستتبعها من انقسامات وحروب تغذّيها على الدوام الجماعات الدينية السلفية وبعض رجال الدين، إنَّ هذا الكتاب صميم رسالته هو الاحتجاج على كل هذا الواقع المأساوي للدين، ونقد كل هذا الزيف المهول الذي يوضع من قبل أطياف من الإسلاميين، ولا يمكن تجاهل أثر تلك الخاطبات من تلويث المجال الاجتماعي العام، وتهشيم مرتكزات العيش المشترك في مجتمعاتنا)(٣٢).

فما السبيل لتحرير الدين من هذا الفهم وهذه القيود ؟ يحاول الرفاعي من خلال كتابه النزعة الإنسانية إيجاد إجابة عن هذا التساؤل بقوله: (لعل السبيل الأمثل لبيان هشاشة هذا النوع من الفهم السلفي المغلق يكمن في السعي الحثيث للكشف عن النزعة الإنسانية العميقة في الدين وإضاءة الحقول المنسية في النصوص المقدسة، والتنبيه إلى الجهل أو التجاهل والإصرار على تغييب مساحة واسعة من تلك النصوص، تغتني بالجوانب التنزيهية السامية، التي تصطفي الإنسان، وترفع مكانته وتعتبره أكرم موجود

خلقه الله في العالم بل خلق كل شيء مسخراً من أجله، وجعل حياته أغلى رأس مال في الوجود، في مناط الخلافة وموطن المسؤولية وقد أنكر بعض الباحثين وجود النزعة الإنسانية في الدين بالإعتماد على النصوص الواردة في القتال، إلا أنَّ هناك طائفة من الباحثين والمفكرين يشددون على إنَّ النزعة الإنسانية متجذرة في الدين الإسلامي)[٣٣].

ثانياً: تدين مفرغ من الحياة الروحية:

يتحدث الرفاعي عن تدين مفرغ من أي حياة دينية ولعل ذلك راجع إلى إنَّ أغلب الجماعات الإسلامية أخذت تفرغ الدين من معناه الروحي والاخلاقي وأخذته إلى مجالات أخرى لا تمت للدين بصلة: (نلاحظ معظم الشباب منخرطين في الجماعات الإسلامية، أرواحهم منطفئة لم يضئها الإيمان، وأفئدتهم جائعة لم تُشبع بالمعنى، وقلوبهم ظامئة لم ترتوِ بحب الله والإنسان للعالم. وسلوكهم لا يخلو من مفارقات وازدواجية، تنتهك الأخلاق في السر، وإنّ كانت تتظاهر بها في العلن، ذلك لأنهم يفتقرون لمثال بشري روحي أخلاقي مجسّد في محيطهم، سلوكه مرآة للخُلق النبيل وروحه تفيض بالإيمان، ويضئ قلبه سُبل الأسفار إلى الحق)[٣٤].

ويقول الرفاعي أننا لا نعثر في هذه الجماعات نموذج مشبعة حياته بالمعنى الروحي الذي يمنح هؤلاء الشباب القدرة لإستعادة هوياتهم الشخصية المفتقدة، وتسهم في تعزيز قدراتهم على أثراء حياتهم أنطولوجيا وتساعدهم على أنّ تكون حياتهم أجمل.

كما أنَّ أدبيات مثل هذه الجماعات كنصيين تفتقد إلى ما يقودهم للسماء، وتجعلهم يخوضون صراعات مع السلطة والهيمنة والمال في المجتمع، وبدلاً من أنّ يكون النص الديني في أدبياتهم منتجاً للإيمان ومنبعاً لتكريس الحياة الروحية ومنهلاً لإثراء الحياة الأخلاقية، يجرى توظيفه كغطاء للاستحواذ على الهيمنة والسلطة والقوة والمال.

إنَّ مثل هذه الجماعات ترسم صورة مفزعة لله، وتغرق مجتمعاتها بالقلق والخوف، وكأنَّها في معركة مزمنة مع الله، ولا تشتغل في التبشير بخلع معنى على حياتنا، وعلى كل ما لا معنى له في عالمنا وتشييد مرتكزات الأمل والتفاؤل وهذه هي مهمة الأديان الحقيقية، وليس رسم صورة مفزعة لرب العالمين فالإنسان الخائف يتمزق ويصاب بالشلل ويعجز عن مقاومة أية قوة تسعى لإستعباده، ففي كل مجتمع خائف يتولد الاستبداد على الدوام. فالخوف هو منبع الاستبداد، فالشخص الخائف لا يمتلك القدرة

على أبداء أي رأي بل لا يستطيع الذهن الخائف أنّ يفكر أصلاً. وهذا هو الرأي الذي خلص إليه الرفاعي من دراسته لأدبيات الجماعات السلفية فكيف يكون الخلاص من هذا الخوف؟.

يؤكد الرفاعي إنَّ الخلاص لا يتم إلّا بتنمية الحياة الروحية والأخلاقية والعقلية وذلك بتخلص الدين من الخطابات الإيديولوجية إلى ترسيخ الدين الأنطولوجي، أي التحول من لاهوت التحرير إلى لاهوت الحرية(٣٥).

ثالثاً: أنسنة الدين:

يجسد السؤال الديني اليوم منعطفاً أنثربولوجياً بالغ الخطورة والأهمية في مسيرة تاريخ الفكر الثقافي والحضاري للإنسان، بحيث لم يعد هذا العقل المعاصر يقنع بأنماط الإجابات التي يقدمها الخطاب الديني عن أسئلة الوجود والمصير الكبرى والإشكالات التي يواجهها الإنسان في أزماته ومأزقه الوجودي، حيث أصبح يبحث دائما عن لحظة الانعتاق من قيود الخطابات الدينية التي حاصرته فترة طويلة من الزمن، ومن ثم لأجل التخلص من النظرة الدوغمائية والمذهبية والطائفية، والانتقال إلى لحظة الأنسنة المنفتحة التي تنبثق عن ذهنية مرنة تدافع عن حقوق الإنسان، وتحرير الوضع البشري من الاضطهادات والظلم، لابد من تحقيق نوع عالٍ من الوعي الأنثربولوجي الذي يخلص العقل من التفكير الدوغمائي المغلق، إلى التفكير على مستوى أوسع(٣٦).

وهذا ما نجد الرفاعي ينقده في أغلب مؤلفاته، حيث نجده في كتابه "مقدمة في السؤال اللاهوتي" يبين ذلك: (طغت في أدبيات الجماعات الإسلامية نزعة الهروب من الواقع إلى الماضي فتستعيره كما هو، وتارة تهرب إلى موطن آخر، حيث تعمل على نفي الآخر، ففكر الإسلاميين ظل يكرر نفسه، ويطرب للمديح وتنزيه الأنا وتمجيدها، وما أنفكت مواقفه دفاعية لا تتجرأ على نقد الذات ومراجعة تجربتها الخاصة)(٣٧).

إنَّ الخطاب الديني تعتريه الكثير من المشكلات والتعقيدات المفتعلة بكثير من الأحيان بقصد أو بدون قصد، وشيء طبيعي أنّ تحيط به العديد من الإشكالات ويصبح حلبة صراعات وتوترات وصدامات إيديولوجية. لأنَّ هذا الخطاب يحول نفسه دائماً إلى الحديث باسم الإله، وتبين أنَّه صناعة بشرية فكرية سياسية حجاجية سلوكية وفيه خلط كبير بين ما هو ديني مطلق، والدين كممارسة بشرية تخضع لكفاءة الإنسان

التاريخية[٣٨].

وهذا ما يؤكد عليه الرفاعي بأنَّ (هذا النمط من قراءة النص الديني يفضي إلى إنتاج فهم للإسلام، مفرغ من الرحمة والمحبة، تتحول فيه صورة الله إلى وحش يفترس كل حياة وجمال ورحمة ومحبة في هذا العالم، وتستبعد هذه القراءة كل ما في النصوص الدينية من سلام وتراحم، فالمؤسسات الدينية السلفية بخطاباتها المتعصبة تقود مجتمعاتنا إلى معارك مفتوحة مع العصر، لا تفرغ من معركة إلّا وتغرق في أخرى)[٣٩].

ويؤكد الرفاعي على إنَّ التعصب والعدوانية والاستغلال كلها ظواهر متفشية في الاجتماع البشري عبر التاريخ، كما أنَّ عنف الإنسان ضد أخيه الإنسان ليس طارئاً في الحياة، بل هو سلوك بيولوجي، وسياسي، واجتماعي، وديني، وثقافي، مترسخ في دنيا الإنسان. وإنَّ رسالة الأديان ومقاصدها الكلية تتلخص في إشاعة السلم والتراحم والمحبة بين الناس، والسعي لتجفيف منابع العنف والعدوانية والتعصب، ولكن طالما طمست تلك الرسالة ونقضت، بنشوء جماعات وفرق لا تقتصر على إعلان الانتماء للدين وإنما تصرّ على أحتكاره وتمثيله وتحرص على مخاصمة أي جماعة غيرها تقدم فهماً مختلفاً للدين. وتهتم تلك الجماعات بتطوير أساليبها الدعوية باستمرار، وتسعى للهيمنة على الدين والدنيا، وتكريس الانغلاق على الذات، ومطاردة أية محاولة تهدف إلى نقدها وإهدار دم الأشخاص الذين يفضحون مفاهيمها، ولعل ذلك راجع إلى قراءتهم الخاطئة والحرفية المغلقة للنصوص الدينية فهي قراءة لا تتجاوز المدلول اللغوي الساذج وتشيع تفسيرات قمعية للنصوص، كما تحارب كافة القراءات التي تتخطى المعنى السطحي، وتغور في الأعماق، مستلهمة المضامين الروحية الغنية في النص[٤٠].

رابعاً: الأخلاق والنزعة الإنسانية في الدين:

يربط الرفاعي بين الأخلاق والنزعة الإنسانية والدين حيث نجد أنَّ النصوص المقدسة موجهة في أغلبها للإنسان تحثه على التخلق بمجموعة من الأخلاق الحميدة وتنهاه عن التخلق بالأخلاق السيئة فمثلا نجد في القرآن آيات كثيرة تحث الإنسان على محبة أخيه الإنسان ومساعدته. وآيات أخرى تحثه على قول الحق "الصدق" والأبتعاد عن الكذب، وآيات أخرى تحث الإنسان على ترك الكراهية والتعصب في الحوار مع الآخر

وتحثه على التعايش بسلم مع من يخالفه في الديانة أو المذهب وهنا نجد النزعة الأخلاقية في النصوص المقدسة سواء من القرآن أو غيره من النصوص المقدسة، فكلها تخاطب الإنسان وتحثه على الالتزام بمجموعة من الأخلاق الحميدة الصحيحة وترك الأخلاق السيئة فالديانات في حقيقتها هي منظومة حياة، متكاملة نجد فيها القيم الأخلاقية والقيم الروحية، وثقافة التعايش مع الآخر والعلم...إلى آخره. (إنَّ البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى تعزيز النزعة الإنسانية عبر استيعاب الحياة الروحية الخصبة في الدين، وإحياء التجارب الإيمانية المتنوّعة، تلك التجارب التي تمنح صاحبها رؤيا، يصبح فيها العالم ساطعاً شفيفاً، ممتلئاً بالمعنى. يتخلق فيها الإنسان بأخلاق الله، وتغدو صفات الله مؤشرات وغايات عظمى لمخلوقاته، يجب أنّ يكدح الجميع للتماهي معها والانخراط في مدياتها الرحبة؛ بل يسعى العرفاء والمتصوفة، الذين تطغى في وجدانهم أشواق الروح، للاتحاد بها)[٤١].

ولأجل أنّ يتخلق الإنسان بأخلاق الله يجب أنّ يدرب نفسه على هذه الأخلاق حيث يؤكد الرفاعي على ذلك بقوله: (ومن أجلى مصاديق التخلق بأخلاق الله هو تدريب النفس على حب الآخرين، وتمني الخير لهم، ومحاولة تحرير النفس من النزعات العدوانية، وترويضها على الخلاص من الدوافع الشريرة، التي يبتلي بها البشر. ويعتبر الحب منبع إلهام الحياة الروحية، ومصدر الأنجذاب إلى الحق تعالى، وبذلك يمكن أنّ يطهِّر حب الله الذين يسكرون به من أية روح عدوانية، ويجعلهم يفيضون رأفة وعطفاً على جميع الكائنات، لأنَّهم يتشبّهون بصفات من يحبونه تعالى، وهو "أرحم الراحمين"، وربما غامروا براحتهم وتحمّلوا الكثير من المشاق والمتاعب من أجل سعادة الآخرين)[٤٢].

(ويورد الرفاعي مجموعة من النصوص التأسيسية للأديان التي تتفق جميعاً بتوجيه أتباعها نحو حب الخير للغير، مثلما يحبه المرء لنفسه. وفي ما يلي نماذج لتعاليم أبرز الأديان في العالم حيال الآخر:

"هذا مجمل الواجبات: لا تعامل الغير بما إذا عوملت به آلمك". (البراهمانية، مهبهراتا،٥: ١٥١٧).

"لا تؤذ الغير بسلوك تجده أنت بنفسك مؤذياً لو سلك معك". (البوذية، أودانا فارقا،١٨:٥).

"هذا حقاً مثل المحبة اللطيفة: لا تعامل الغير بما لا تريد أنّ يعاملوك به". (الكونفوشوسية، ديوان، ١٥: ٢٣).

"﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَما يُلَقَّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (الإسلام، القرآن، فصلت: ٣٤-٣٥)

وينتهي الرفاعي إلى إنَّ السبيل للتخلّق بأخلاق الرحمن إنما يتحقق عبر إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، وإضاءة أبعاده الأخلاقية والمعنوية والرمزية والجمالية، وتطهير التدين من كافة أشكال الكراهية والإكراهات. لكن ذلك لا يعني أختزال الإنسان في مجموعة مفاهيم وقيم مثالية، تتعالى على بشريته، وتصيره كائنا سماوياً مجرداً منسلخاً عن عالمه الأرضي، مثلما تريد بعض الاتجاهات الصوفية والرهبانية، بل يعني إنقاذ النزعة الإنسانية إيجاد حالة من التوازن والانسجام بين متطلبات جسده من حيث هو كائن بشري، وإمكانية غرس وتنمية روح التصالح مع العالم، والتناغم مع إيقاع الكون، وتكريس حالة الانتماء للوجود، والتعاطف مع كافة الكائنات الحية والشفقة عليها، وتعزيز أخلاقية المحبة)[٤٤].

الخاتمة

١. شكل منجز الدكتور عبد الجبار الرفاعي حلقة وصل مهمة بين جمع كبير من المشتغلين في الفكر الإسلامي المعاصر في دراساته البحثية بتفكيك بنية التعصب.

٢. ولأجل التخلص من التعصبات القبلية وجعل الدين يقوم بوظيفته الأساسية لا يكون ذلك إلّا من خلال النقد فهو الأداة الأهم في تطوير العقل، فالنقد هو علامة التفكير الحر، فمن الضروري أنّ نقوم بإثارة أسئلة حائرة وجريئة فتفكيرنا يجب أنّ يكون تساؤلياً فهذا التفكير هو الذي يوصلنا إلى مناطق غير مسموح التفكير فيها الذي ينطلق بالعقل بحرية وجرأة فيحطم الأغلال والقيود كافة. فالنقد والمراجعة هما شرطا كل تطور فكري وأساس كل عملية تحديث وأنَّ من يستطيع أثارة مثل هذه التساؤلات هو المثقف النقدي الذي يحاول التغلب على قيود الإيديولوجيات فمهمته الأساس هي التنوير، وهو مثقف الأبعاد المتعددة.

٣. تناول الرفاعي مسألة بالغة الأهمية في يومنا الحاضر تعاني منها أغلب مجتمعات العالم وانعكست سلبياتها على كل دول العالم إلا وهي مسألة: الكراهية، والعنف، وتمجيد الموت، ونبذ التسامح. وكل هذه المفاهيم التي تفشت في مجتمعاتنا اليوم راجعة بحسب رأيه إلى القراءات الخاطئة للدين، فالجماعات السلفية بفهمها الخاطئ وقراءاتها الخاطئة للدين تعتمد مجموعة من المفاهيم القبلية في تفسيرها للدين، حيث يجعلون من الموت الهدف الذي يسعى إليه الإنسان فيمجدون الموت وينبذون ويهجون الحياة، فبذلك يحيلون الدين إلى مجموعة من المفاهيم التي تشرع الكراهية وتهجو التسامح وتمجد اللاتسامح.

٤. ومن المسائل المهمة التي يعطيها الرفاعي أهميةوهي مسألة الإكراه في الدين أي إكراه شخص ما على شيء ما، ويبحثه بشكل خاص في الدين فإذا كان الإكراه منبوذاً بأشياء اعتيادية فكيف يكون الإكراه في الدين؟ وخاصةً إنَّ الديانات السماوية قد أوردت نصوصاً كثيرة ترفض الإكراه في الدين، من منطلق إنَّ من أُكره على شيء يؤمن به ظاهراً وينبذه بالباطن، فاعتناق الدين يجب أنّ يكون عن قناعة ورضا ذاتي. وهذا ما يؤكد عليه الرفاعي وينتهي إليه في بحثه في هذه المسألة.

٥. يعد الرفاعي داعية لثقافة التسامح والتعايش مع الآخر ويبدو هذا جلياً لمن يطالع

سيرته المعرفية وعلاقاته الاجتماعية التي تنوعت لتشمل علاقات بأشخاص من مختلف الشرائح.

٦. بحث الرفاعي مفهوم النزعة الإنسانية في الدين ويعني به تحرير الدين من التعصبات السلفية التي تحيله إلى منبع للعدوان والتعصب والكراهية ولأجل القضاء على مثل هذه الخطابات يجب أنّ نسعى بحث للكشف عن النزعة العميقة في الدين من خلال إضاءة الحقول المنسية في النصوص الدينية التي تجعل من الإنسان هو الكائن المميز الذي كرمه الله على مخلوقاته الأخرى فجعله الخليفة في الأرض وكل ما في الأرض مسخراً له. فالغاية من البحث عن النزعة الإنسانية في الدين هي الخلاص والتحرر من نسيان الإنسان كما في أدبيات الجماعات السلفية والاعتراف ببشريته ومكانته في الأرض وتصحيح علاقته بربه وتحويلها من صراع مسكون بالخوف والقلق إلى علاقة تتكلم لغة المحبة فالإنسان هو غاية الدين ومحوره. بالإضافة إلى إنَّه حاول الربط بين الأخلاق والنزعة الإنسانية في الدين، وأستمد ذلك من الإشارة إلى إنَّ الكثير من الآيات القرآنية تحث الإنسان على محبة أخيه الإنسان ومساعدته بالإضافة إلى أنَّها تدعو إلى التخلق بالأخلاق الحسنة مثل مساعدة الآخرين، الصدق، المحبة، ونبذ الكراهية والتعصب وغيرها، وهكذا ويؤكد الرفاعي إنَّ أغلب الأديان تدعو إلى الأخلاق الإنسانية الحميدة ونبذ الرذيلة.

٧. وأخيراً يمكن أنّ نقول بأنَّ تجربة الدكتور عبد الجبار الرفاعي تقوم على تجربة أساسها إنَّ الفهم الإنساني للدين سيكون عاملاً رئيساً ومؤثراً في تفكيك بنية التعصب، الذي يقوم على الجدل بالتي هي أحسن، وتقديم الصورة الحقيقية للدين، وهذا الدور قام به الرفاعي بشكل ملفت للنظر سواء في منجزه الفكري أو دوره الإنساني في الحياة الذي بلغت أصداؤه حتى خارج الرقعة الجغرافية للعالم العربي والإسلامي وقد أشاد بهذا الدور جمع كبير من المفكرين والمؤسسات الدينية وغيرها.

هوامش البحث

[1]- الدين والظمأ الانطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، / ١٦٥. وينظر: انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /٣٠.

[2]- الدين والظمأ الانطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، / ١٦٥- ١٦٧، بتصرف.

[3]- سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

[4]- الدين والعقل والعلمانية، عبد الهادي بوطالب، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد (٣١-٣٢)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠٠٦م، /١٥٥.

[5]- الدين والظمأ الانطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٦٨.

[6]- الإنسان والايمان، مرتضى مطهري، ترجمة: عبد المنعم الخاقاني، منظمة الاعلام الإسلامي- طهران، ط١، ١٩٨٣م، /٢٦.

[7]- الدين والظمأ الانطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٧٥. وينظر: مولانا جلال الدين الرومي، مثنوي، ترجمة: محمد عبد السلام كفافي، المكتبة العصرية- بيروت، ط،١، ١٩٦٦م، /١٨٠.

[8]- الدين والظمأ الانطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٨١.

[9]- التسامح ليس منة أو هبة، عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، /٥-٦، بتصرف. وينظر: الطائفية بين الدين والسياسة، حسن موسى الصفار، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط،١، ٢٠٠٩م، /٧٩.

[10]- أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م، /٢٠-٢١، بتصرف.

[11]- مقابلة مع الدكتور الرفاعي، التاريخ: ٢٠١٨/٩/٧، المكان، الجادرية. وينظر: إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /١٧٥- ١٧٦.

[12]- انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /١٧٦-١٧٧، بتصرف.

[13]- إيمان وآزادي، محمد مجتهد شبستري، طهران، ط٤، ١٣٨٢، /١٠٤.

[14]- انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /١٧٧.

[15]- انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /١٧٨.

[16]- الارهاب وباء والعنف مرض من اين تشتق ثقافة تمجيد الموت ومفاهيمها،

مصطفى ملكيان، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد (٣٥-٣٦)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠٠٨م، /٧٥.

[17]- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /١٨٠. وينظر: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، محمد الحداد، دار الطليعة- بيروت، /٥.

[18]- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، /١٨٣-١٨٦، بتصرف. وينظر: الدين والظمأ الأنطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٩٩.

[19]- مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥، / ١٠٠.

[20]- سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

[21]- الإسلام ومتطلبات التغير الاجتماعي، محمد حسين الطباطبائي، تعريب: محمد علي اذرشيب، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران- إيران، ط٣، ١٤٠١هـ، /٤٠-٤٢، بتصرف.

[22]- التسامح ليس منة أو هبة، عبد الجبار الرفاعي، /٩.

[23]- سورة الكهف، الآية: ٢٩.

[24]- سورة فاطر، الآية: ٢٤.

[25]- مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، عبد الجبار الرفاعي، /١٠٣.

[26]- سورة الرحمن، الآية: ١-٤.

[27]- أنماط الإيمان ومسألة الاعتراف بالآخر، كمال عمران، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد(٣٣-٣٤)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠٠٧م، /٤-٥.

[28]- لا إكراه في الدين، مصطفى مليكان، حوار معه، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٣٥-٣٦)، /٧٥. وينظر: الإسلام المعاصر والديمقراطية، مجموعة مؤلفين، (الاختلاف ليس مناطاً للقطيعة)، هاني فحص، /٩.

[29]- الكتاب التذكاري، دعوة للخلاص من نسيان الإنسان في ادبيات الجماعات الاسلامية، عبد الجبار الرفاعي، /٢٥، بتصرف.

[30]- الهرمنيوطيقا والمناهج الحديثة في تفسير النصوص الدينية، الإنسان غاية الدين ومحوره، علي حاكم صالح، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين-

بغداد، ٢٠١٤م، ٣/٤٠١- ٤٠٣، بتصرف.

[31]- مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، عبد الجبار الرفاعي، /٦-٧.

[32]- انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، د. عبد الجبار الرفاعي، /٧.

[33]- انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، /٢٠٠-٢٠١. وينظر: نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي- بيروت، ١٩٩٧، /٢٥. وينظر: معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي- بيروت، ط،١، ٢٠٠١، /١٩.

[34]- الدين والظمأ الأنطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٧٩. وينظر: سورين كيركجارد مؤسس الوجودية المسيحية، د. علي عبدالمعطي محمد، منشأة المعارف- الاسكندرية، ط،١، ٢٠٠٠، /٤٦.

[35]- الدين والظمأ الأنطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٨٠-١٨١، بتصرف. وينظر: سورين كيركجارد أبو الوجودية، فوزية أسعد ميخائيل، تقديم: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط،٢، ٢٠٠٩، /٧.

[36]- انسنة الخطاب الديني قراءة في تأويل العقل الحداثي العربي، شراف شناف، تحرير: د. عبد الجبار الرفاعي، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٦٣- ٦٤)، /١٩٥.

[37]- مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٨٧-١٨٨.

[38]- انسنة الخطاب الديني، شراف شناف، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٦٣-٦٤)، /٢٠٢.

[39]- الدين والظمأ الأنطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، / ٢٠٢-٢٠٣، بتصرف.

[40]- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، د. عبد الجبار الرفاعي، /١٩٩.

[41]- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، د. عبد الجبار الرفاعي، /٢٠٤. وينظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر- القاهرة، ١٣٥١هـ، ٩/٢٦٦.

[42]- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، د. عبد الجبار الرفاعي، /٢٠٨. وينظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، نشر: عثمان يحيى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ٤/١٠٤.

[43]- عيال الله: أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، إنجاز: مصنف وناس، شكري مبخوت، وحسن بن عثمان، دار سرار للنشر، تونس، ١٩٩٢، /١٨٧.

[44]- إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، د. عبد الجبار الرفاعي، /٢٠٩-٢١٠، بتصرف.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم.

١. الإسلام المعاصر والديمقراطية، مجموعة مؤلفين، هاني فحص، مصطفى ملكيان، وآخرون)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد.
٢. الإسلام ومتطلبات التغير الاجتماعي، محمد حسين الطباطبائي، تعريب: محمد علي اذرشيب، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران- إيران، (ط٣، ١٤٠١هـ).
٣. أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، (ط٢، ٢٠٠٠م).
٤. الإنسان والايمان، مرتضى مطهري، ترجمة: عبد المنعم الخاقاني، منظمة الاعلام الإسلامي- طهران، (ط١، ١٩٨٣م).
٥. انقاذ النزعة الإنسانية في الدين، عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير، بيروت- لبنان، مركز دراسات فلسفة الدين، (ط٢، ٢٠١٣م).
٦. انسنة الخطاب الديني قراءة في تأويل العقل الحداثي العربي، شراف شناف، تحرير: د. عبد الجبار الرفاعي، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٦٣- ٦٤).
٧. انماط الايمان ومسألة الاعتراف بالآخر، كمال عمران، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٣٣-٣٤)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، (٢٠٠٧م).
٨. الايمان الوجودي وديانة الضمير الفردي، سورين كيركيكَورد، تحرير عبد الجبار الرفاعي، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٥٥-٥٦)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، (٢٠١٣م).
٩. الارهاب وباء والعنف مرض من اين تشتق ثقافة تمجيد الموت ومفاهيمها، مصطفى ملكيان، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد (٣٥-٣٦)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، (٢٠٠٨م).
١٠. إيمان وآزادي، محمد مجتهد شبستري، طهران، (ط٤، ١٣٨٢هـ).
١١. التسامح ليس منة أو هبة، عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، بيروت- لبنان، (ط١، ٢٠٠٦م).
١٢. حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، محمد الحداد، دار الطليعة- بيروت.
١٣. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر- القاهرة، ١٣٥١هـ.
١٤. الدين والعقل والعلمانية، عبد الهادي بوطالب، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد (٣١-٣٢)، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد.

١٥. الدين والظمأ الأنطولوجي، د. عبد الجبار الرفاعي، الناشر: مركز دراسات فلسفة الدين، شارع المتنبي- بغداد، (ط١، ٢٠١٦م).
١٦. سورين كيركجارد أبو الوجودية، فوزية أسعد ميخائيل، تقديم: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة.
١٧. سورين كيركجارد مؤسس الوجودية المسيحية، د. علي عبدالمعطي محمد، منشأة المعارف- الاسكندرية.
١٨. الطائفية بين الدين والسياسة، حسن موسى الصفار، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان.
١٩. عيال الله: أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، إنجاز: مصنف وناس، شكري مبخوت، وحسن بن عثمان، دار سرار للنشر، تونس.
٢٠. الفتوحات المكية، ابن عربي، نشر: عثمان يحيى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
٢١. الكتاب التذكاري للدكتور عبد الجبار الرفاعي، مجموعة مؤلفين، هاجر القحطاني، مشتاق الحلو، محمد حسين الرفاعي، تحرير: محمد سعيد الطريحي، اكاديمية الكوفة- هولندا.
٢٢. لا إكراه في الدين، مصطفى مليكان، حوار معه، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد(٣٥-٣٦).
٢٣. معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي- بيروت.
٢٤. مقدمة في السؤال اللاهوتي الجديد، عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، بيروت- لبنان، (ط١، ٢٠٠٥).
٢٥. مولانا جلال الدين الرومي، مثنوي، ترجمة: محمد عبد السلام كفافي، المكتبة العصرية- بيروت.
٢٦. نزعة الأنسنة في الفكر العربي، جيل مسكويه والتوحيدي، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي- بيروت، (١٩٩٧).
٢٧. الهرمنيوطيقا والمناهج الحديثة في تفسير النصوص الدينية، الإنسان غاية الدين ومحوره، علي حاكم صالح، تحرير: عبد الجبار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدين- بغداد، ٢٠١٤م.

The difference of people in their religions in the eyes of Islam is normal; the difference of their minds and perceptions and the origins of their upbringing, so the Quran shows that it is a past year in all creations, and with this difference in religions and beliefs, this does not require the isolation of Muslim society from other societies; And to meet with all people, and to communicate the call of God and his message, which leads to the mixing of the Muslim community with other different societies; How can Islam deal with these? How can they be governed if they live in their land and have chosen to live with Muslims under the rule of Islam? .
The research has done away with tribal intolerance that leads to intolerance, discarding discrimination and making religion its basic function. This is only through criticism. It is the most important tool in the development of the mind. Criticism is the sign of free thinking. It is necessary that we raise questions that are confused and bold. It is this thinking that leads us to areas that are not allowed to be thought of, and which starts with the mind freely and boldly, breaking all chains and restrictions. Criticism and revision are the condition of every intellectual development and the basis of every modernization process. Those who can raise such questions are the critical intellectuals who try to overcome the constraints of ideologies. His main task is enlightenment. He is a multidimensional intellectual. The dialogue is to present opinion and view belief, To show the other and his belief and evidence, in order to clarify the truth and establish the argument, in a climate of calm, between the dual influence and influence with the survival of choice.
Dialogue is an inevitable necessity, in order to self-identify, raise confusion and identify the other without prejudice. To achieve acquaintance, interaction, positive understanding and peaceful coexistence with others, there is no alternative but to bring closer the friendly relations between the different religiously, intellectually, politically or nationally.
Living together with others is only a matter of familiarity and affection, and man does not live with others unless there is an understanding between them and a desire for a shared life for the flesh of intimacy that is dominated by affection and trust.